هل من الممكن حقا ان ندرس التراث الشعبي الفلسطيني دون ان تكون لدينا قاعدة فكرية نستطيع العاد الى طبيعة الفكر الفلسطيني الشعبي في الاونة التي سناولها بالدرس ؟ وهل من الممكن ان تكون دراستنا ذات جدوى اذا ما اهملنا التركيب الطبقي وعلاقات الطبقات ودلالة تلك العلاقات كما تتجلى في التراث ؟

تناول العديد من المهتمين امر التراث الشعبي الفلسطيني . كتب البعض دراسات عامة ، وتعمق اخرون ببعض الاطراف ، واستشف غيرهم دلالات اجتماعية وطبقية . وقد تراكمت لدينا ، نتيجة الدراسات واعمال التجميع ، ذخيرة كبيرة وغنية ولكن من المؤسف ان كثيرا من الجهودالمبذولة في الدراسة او التجميع تتكرر هنا وهناك ، فيعيد البعض ما اجراه اخرون من قبل . والسبب في ذلك غياب النهج الواحد الذى يمكن ان يوحد الرؤية ويجعل ، بالتالي ، تلك الجهود المبذولة اضافات نوعية لا تراكمات عشوائية .

اذن لا بد من وضوح المنهج القائم على قاعدة فكرية ، ولا بد ايضا من وضع اسس وقواعد وخطة العمل التي تقوم على ذلك المنهج ، وكذلك فانه من الضرورى تنسيق الجهود ، لمنع التكرار ،عن طريق تبيان الاعمال التي تم انجازها والاعمال التي يعكف عليها الدارسون او الجامعون .

ان لجنة الابحاث والتراث الشعبي الفلسطيني في جمعية انعاش الاسرة قادرة على تحقيق هذه المهمة ، باستحداث المنهج الموحد ،وارشفة الدراسات والمقالات والمراجع التي انجزت سواء في لجنة الابحاث ذاتها او في الخارج ، ونشر هذه النتائج في مجلتها "التراث والمجتمع" وكذلك نشر تعريف بالاعمال الجارية من دراسات وابحاث واعمال جمع لم يتم الانتهاء منها .

وبطبيعة الحال ، فان استحداث المنهج الموحد يجب ان يتسع ليقبل مختلف جوانب التراث وكل الاشكال التي يمكن ان يتناوله بها الباحثون والجامعون . وكذلك شرح هذا المنهج الموحد ونشره واعداد الاستمارات الموحدة التي تصل بينه وبين المهتمين ليضمن تكامل الدراسات والاعمال الميدانية .

ـ محمد البطراوى ـ

من يوميات عامل

هنديان قبل إمساك الخيوط الاولى

الحلقة التاسعة / بقلم أبو ناظم الجبار

تنتصب في عرض الشارع وانت تهدى والناس في حيرة من امرك . لا تقطع الازهار الجميلة دعها تعيش فالربيع اعمر مما يعمره الناس . تعمل الورشة والمعهد غائب ، لا يهم تهوى شناكوتك النقيل على المسمار يتعرس في الواح الخشب بدون أسس ... وترتفع الطوابق ... يتقوس ظهرك من عمل الملاحي ....

سقف رفسك من المطر الى العمارات الشاهقة التي تبنيها ... تتعجب كيف استطيع شناكوتك ومسامرك والواح الخشب وصفائح وقضبان الحديد والاسمنت ، صنع "بلكونة" ... لتجلس فيها السيدة التي تفوح منها روائح العطر المنعش بارتياح ... ومقارل اس الجيران في البلكونة المقابلة ... وكلاهما بهرا منك ومن ابناء جلدتك ... يلقون الفتات وقشور الفواكه والخضروات عليك وعلى زملائك في الشارع .. يأتي رفيقك الكناس ويقوم بازالتها ... تتذكر بان صديقك النجار هو الذى صنع لهم الكرسي المريح ... ورفيقك الدهان ... ابدع لهم بقعه وغرشاه جدران العمارة ... وتتذكر زملاءك ورفاقك في العمل جميعا ... تفكر فيهم بثقة ... تزداد ثقتك بهم ... تفكر لو كان التعاون سيكم لكانت هذه العمارات لكم جميعا ... تزداد الثقة وتقترب لحظة انقطاع التدرج ... فيحذرونكم على بناء السجون ... تقع فيها ورفاقك ... خطر انقطاع التدرج بهرا منهم ... تثور ثائرتهم ... يلجأون الى النفط لتمييع الثقة ... يحاولون الاستفراد بكم ... وقد ينجحوا مؤقتا في جعلك تفقد الثقة باخيك ورفيقك الذى يتماسك الهم وتتحمل على كتفيه جزء من العبء الملقى عليك ... وليس هذا وحسب انما ايضا يفرضون الطوق على اعناقك ... ويبادرون ارهاقك ويسرقون تعب جسمك في عز الظهيرة ... يذلونك ... ويشعرونك بانك تفقد اى حدوى في وجودك ، انت عالة عليهم لانهم عالة عليك ... تفكر من منكم عالة على الاخر وفوق ذلك يطاردك شبح الفقر والحرمان ... يجوع اطفالك ... تتعرى زوجك وسائك ... وتلهب ظهرك سياطهم ، وكلامهم الجارح ينخر صدرك .. تتحمل .. وتسمو على جلدك طبقة مقاومة للذل والخضوع ... وتجمع في صمت .. النار تتاجج في ثنايا ضلوعك تتحمل وتتحمل في تسلل ان لا يجوع اطفالك دون فائدة ، يجوع ويعرى اطفالك ينخر الصبر صدرك ، ويملع الحقد الطبقي حد الرعاف ، تتشد يا ابناء الشعب قبل العودية تختار الموت ، وتزداد ثقتك برفيقك العامل واخوك الانسان وتقترب لحظة انقطاع التدرج في التاريخ البشرى ... لكن تصمت ... صمت يسبق هذا الانقطاع ... تنزل الى المدن والقرى .. لعلك تمر بمدينة خليل الرحمن ... تترحم على خليل الراعي الذى بدا حبوته باسمه الحداد يتحر صدره ... وتفجر خلايا دماغه ... خلايا من جمجمة الراعي تتطاير في كل مكان ... تنظر خلفك ... تتعمق على كل العاصي الوضيع النافه .... تتلفت حواليك ... في صمت ... الحركة في الشارع لا تنقطع ابدا ... ولكن في صمت .. صمت ...ترى السكافي يرفع مطرقته ويهوى بها على السندان في صمت ... قراع .. صمت ... تسائل عن صحيح السيارات في المدن اس احمقي .. لا تسمع غير نباح الكلب ويهمل النهائم المحلطة باصوات مكبرات الصوت ... قادمة من بعيد ... لعلها من القرى المجاورة ... تنظر امامك ... فاذا السكافي والحداد كل يحمل مطرقته وسندانه وبعض الاصمة على ظهره في صمت ... يتجهون صوب ... وعيونهم ترنو الى الشريط الجبلي الذى يلف المدينة وقراها بالمسوطات ... الحمال حامل ... حامل .... تقوح حمال الحلمل .. قمم الجبال في بطنا والظاهرية والعروب واربحا ونابلس وجنين تعاني المخاض ... المخاض صمت ... آه "ابا خالد" تصرخ باعلى صوتك في صمت ... يا ابا العمال والفقراء ... في الخليل لم يعد هناك جبال تلجأ اليها ساعة المحن ... ورفيقك الحجار لا يملك برنامجا يتحمله .. ولكن قواوس المتطوعين من رفاقك هناك تحفر قصة حزب لا يلبس ... وتعلن وهي تعانق الارض بصمت عن لحظة انقطاع التدرج ... ويلتفت حولك،السكافي لا زال ترنو ببصره تجاه الشريط الجبلي ... ويقفز فاه ويرخي .... ها ها ها ... على سماع حديث عن النقود من الجهة الاخرى للنهر ...قواوس المتطوعين بدات بتبديد الصمت .. اذا التفت حولهم هذه الجموع الغاضبة التي تراقب الوضع من خلف الشبابيك في صمت ... فحتما سينقطع التدرج .. فجاة ... يبدا احد الكراسي بترديد مقاطع كوني عاقر اى ارض فلسطين هذا الحمل من الاعداء دمهم وتحيط"... على كل المستكلين ... وتسب على كل الكراسي على رائحة الكفدرالي ... تصرخ .. هذا كفر ... كفر الحاد من يسكر في مدينة خليل الرحمن .. من يحرؤ على الخروج من حارات حرق العار .. بعد السادسة مساء ليستهد المخاض الذى يقاسيه مدرسة اس الصفد ... "هذا الحمل كفدرالي "... قواء يعف كالابله ... وتظهر امامك خليل الراعي مسمسا كالمارد وسطاير السيف والنواط من جمجمته ، سائلك عن سبب الحداد ... السواء دار الاسف المعقود .. التي احمقت قبل رواحة بتعمه امام ... تصل الى ادسك شائم مقدعه على كل المستكلين الذين كانوا السبب سيظل المسكين يتهدى ويتهدى .. ليس له غير الماى ليسقف فيه كل حزنه ... ويمسي ويحس لسان المسامير في قدميه تجره وسهيل قدمه كنعان سام .... وسماح الاولاد من حوله في صمت .. الراعي .. حي .. الراعي حرف... واب واقف كالابله يحاول ترديد مقاطع مبعثره من روائع الشعر العالمي وتحويك الذاكره في معرفه صاحبها

وردت الكلمات التالية من احد العمال في قطاع غزه لكاتب هذه الحلقات ، فيما يلي نصها :

اخي ابو ناظم الحجار ،
تحية عمالية وبعد ،

انما نتابع قراءة كلماتكم الصلاءلشد من "يوميات عامل" في جريدتنا الغراء "الطليعة" وكم سررنا من موضوع واسلوب عرض هذه الحلقات ، لانكم تتحدثون عن نفسنا وباسلوبنا لدرجة اننا لا نكتفي بقراءة الحلقةمرة واحدة! ان طبقتنا العاملة اخي ابو ناظم ستحصدها تتذروته انتم رغم امتداد الزمن بين الدار بالحصاد" .

عامل مساوم من جنالنا

قصة قصيرة

من خلف قضبان الصمود

بقلم - كريل / جامعة بير زيت

دارت عيناه في جميع الاتجاهات ، تفحص كل شيء حتى المزهرية الراقدة بثبات على الطاولة تهزها رياح الغرب العاتية ، ثم مس يديه في كفي واشاح نظره عني خجلا ... قال بتلعثم ، تعرفين انني مضطر .. ولكن كوني على ثقة اني ساعود ، نعم ساعود اقوى من السابق واكثر نضجا" .

ابتسمت وشددت على يديه بحرارة ، اعلم جيدا انه يستطيع الصمود وما كلماته الا محاولة للاعتذار ليس لها مبرر . همست في اذنه : "تذكر ان وطنك هنا ... وان لك فيه بقعة تنتظرك ان تاخرت عنها ، سيفترسها وحش الاستيطان"

لوح لي بيديه من خلف زجاج السيارة وانطلقت به لتوصله الى الحسر الفاصل بين الضفتين حيث ينتظره هناك اذن بالمرور حصل عليه بعد طول عناء ، عدت الى البيت وفي ذهني الكثير من الافكار ، "ترى هل سيعود ها ؟ ومتى ؟ ايعود في الوقت المناسب او تحرفه ريح الغربة وتنسيه ان له في رحم الارض جذورا ممتدة لا بد من رعايتها لتستطيع الصمود " .. ظلت كلماته تتردد في اذني لتعطيني املا جديدا اعيش عليه لحين عودته "ساعود ، كوني على ثقة انني ساعود"

حمل الي ساعي البريد اولى رسائله فتحتها بلهفة ابحث فيها عن شيء يروى ظمأى ، ويعطي للامل في نفسي وقودا جديدا ، كتب عن اخبار رحلته ، ووصوله سالما ، ثم ذيل الرسالة بكلماته السابقة "ساعود ،كوني على ثقة انني ساعود ، نعم ساعود اقوى من السابق واكثر نضجا"

تتالت الرسائل ، وفي كل مرة كان يكتب عن شوقه لي وللوطن ، وعن مرارة الغربة ، وباستمرار كان يذيل رسائله بنفس العبارة ، فاطمئن واهدأ ويشتعل الامل في صدري من جديد .. وفجاة بلا مقدمات انقطعت رسالته الاخيرة ،بدأ القلق يساورني ، بت اخشى ان يكون قد

اصابه مكروه ، وجزء من تفكيري كان يتجه نحو بذرة الشك التي زرعتها في نفسي عندما قرر ان يغادر ،حاولت ان اقتل هذا الشك ، لكنه كان يكبر في كل يوم ، انتظر فيه طرقة الباب ليطل علي ساعي البريد برسالة منه فلا اسمع غير صوت يكبر في نفسي يقول : "لن يعود لقد قرر البقاء ، انتظري وسترين" .

امسكت القلم لاخط له رسالة وفي ذهني تتردد بعض كلماته من قصيدة لبدر شاكر السياب "رحل النهار"

ها انه انطفأت ذبالته على افق
توهج دون نار
وجلست تنتظرين عودة سندباد
من السفار
والبحر يصرخ من ورائك
بالعواصف والرعود
هولن يعود .

تدفقت الكلمات على الورق بغزارة كشلال هادر يحاول اقتلاع كل من يقابله "عزيزي ،ستهيم على وجهك ، ستدق اقدامك ساحات نيويورك ، وروما ، وباريس ، ربما تتوقف عند احد المعارض التي تبيع للناس احزانا لشبيك الرابض خلف القضبان ،ربما تجد في نيويورك الكثير ليلهيك عني وعنا ، ربما تتعلق بشقراء تمحو من ذاكرتك حدود الوطن ، .. ربما تتذوق كل انواع الخمور ، وتجرب كل انواع الكافيار ،ربما تظن انك امتلكت العالم .. وانك حققت كل ما تصبو اليه ولكنك يا عزيزى تكون قد خسرت نفسك ، فشوارع رام الله اكبر بكثير من شوارع نيويورك فهنا اناس تعرفهم ، اطفال يتبسمون لك ، وازقة تنفث من ترابها رائحة الطابون يحترق فيه خبز الذ بكثير من كل انواع الكافيار ، ... هنا تستطيع ان تتنفس هواء لا يمتزج بدخان المصانع الذرية والنووية ، هنا ، لك بقعة ارض تتعرض لانجراف التربة وجدت في سواعد شبيبة العمل من يردع عنها خطر الانجراف وامك التي تتمزق لفراقك ، لم تعد تضع يدها على خدها وتنتظرك ، فقد انخرطت في صفوف لجان المراة وتعمل بجد من اجل وجه اخر للمراة في بلدنا ، وجه يفوق بجماله كل شقراوات نيويورك وروما وباريس ، نحن هنا يا عزيزى صامدون ، نعم صامدون ولسنا بحاجة لاى كان له جذوره في رحم الارض وماتت عطشا ، فجذورنا ترتوى باستمرار من عرق شبيبة العمل وهم يحملون منجلا وفاسا يزرعون في كل مكان بذرة للخير وجذورا جديدة يمتد في رحم الارض ويكبر" .

... فلا تدرى لمن من الرفاق تنسبها :

فليستيقظ ذاك الحطاب!
وليطهر ذاك الرجل الفذ بفاسه
وبقصعته الخشبية ـ كي ياكل
مع فقراء الفلاحين
خلوا هذا الرجل الفذ ...
خلوه يغرس اسنانه في التفاح
الاصفر ...
خلوه يرفع فاسه في نفس مدينته
تلـــك
ضد الاسياد وضد سياطهم
الملعونـــة
وهي تصب اللعنة ـ فوق ظهور
عبيد العالـــم .... "
وتهتف باعلى صوتك ...
انهض يا شعبنا الوفي
وتصرخ يا حجار باعلى صوتك..
بارود .... بارود ... بارود.
ويتصايح الاولاد من حولك ...

إضاءة

حوالي عام ١٨٩٠ ، غدا انتصار الماركسية على جميع الايديولوجيات الاخرى للحركة العمالية ، بخطوطه العامة ، امرا واقعيا . بل اننا نرى حتى في البلدان اللاتينية ، حيث التقاليد البرودونية استمرت اكثر مما في غيرها من البلدان ، ان الاحزاب العمالية قد بنت بالفعل برامجها وتاكتيكها على اساس الماركسية .والتنظيم العالمي للحركة العمالية الذى بعث من جديد بشكل مؤتمرات عالمية دورية ، انما قام ايضا على اساس الماركسية ،من حين حلت الماركسية محل النظريات المعادية . ولكن ، التحاس ،سعت الميول التي كانت تعبر عنها هذه النظريات وراء سبل جديدة . فقد تغيرت اشكال النضال ودوافعه ، ولكن النضال استمر . وهكذا بدا النصف الثاني من القرن الاول من وجود الماركسية (بعد ١٨٩٠) بنضال التيار المعادى للماركسية في قلب الماركسية .

ـ لينين ـ